

الموداد

محنة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والفنون - دار الناظر - الجمهورية العراقية
المجلد الثامن - العدد الثاني - ١٩٩٩ - ١٩٧٩

2

WWW.ATTAWHEEL.COM

أسرة الناظرية

WWW.ATTAWHEEL.COM

العدد الثاني

صيف، ١٩٧٩

المجلد الثامن

فولوكا

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

دار الحرية للطباعة - بغداد

أهمية كتاب «القطع والائتناف» وأثره

بقلم الدكتور

احمد زهير الجنابي

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية



أما الكتاب الرابع فقد قمت بدراسة مطولة له ، نشرت في مجلة المورد (٢) .
أما الكتاب الخامس فقد نشر في مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ ، ولكنه مشحون بالتصحيفات والتحريفات ، فهو أشبه بالمخطوطة (٣) .

منهج البحث

لقد قسمت الموضوع الى بحثين هما :

البحث الاول

أهمية كتاب «القطع والائتناف»

إذا كانت أهمية كتاب «أعراب القرآن» تكمن في كونه بسط «نظرية الاحتمالات النحوية» عند النحاس (مع مزايا أخرى اشترت اليها في بحث سابق (٤)) ، فإن أهمية كتاب «القطع والائتناف» ، تتجلى في كونه متفردا بمنهج جملة متميزا بين كتب الوقف والابتداء الباقية . وقد

(٢) المجلد السابع ، ونشرت في العدد الثاني ، الصادر في تموز ١٩٧٨ .

(٣) يراجع الكتاب في مواضع متفرقة .

(٤) نشر في مجلة المورد ، المجلد السادس ، العدد الثاني ١٢٩٧هـ - ١٢٩٧م .

ألف

أبو جعفر النحاس مجموعة كبيرة من الكتب تجاوزت العشرين ، خمسة منها في الدراسات القرآنية ، وهي :

- (١) إعراب القرآن .
- (٢) كتاب القطع والائتناف .
- (٣) رسالة اللامات في القرآن .
- (٤) معاني القرآن .
- (٥) كتاب الناسخ والمنسوخ .

ومن حسن حظنا أنها بقيت جميعها ، وضاع قسم من مؤلفاته الأخرى .

وقد حقق الاول ونال به درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ، الزميل الدكتور زهير فاضي زاهد .

أما الثاني فقد حققه الزميل الدكتور أحمد خطاب ونال به درجة الدكتوراه من الجامعة المذكورة .

ونشر رسالة اللامات الاستاذ طه محسن في مجلة المورد (١) .

(١) العدد الاول من المجلد الاول ، صفحات : ١٢٢ - ١٥٠ .

سبق النحاس بمؤلفات متعددة في هذا الموضوع،
أهمها :

- كتاب الوقف والابتداء ، « لحمزة بن حبيب » (د) ، أحد القراء السبعة (المتوفى ١٥٦هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء (٦) ، للفراء (المتوفى ٢٠٧هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء (٧) ، لخلف بن هشام البزار (المتوفى ٢٢٩هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء (٨) ، لمحمد بن سعدان (المتوفى ٢٢١هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء ، لابي عبد الرحمن (٩) ، عبدالله اليزيدي (المتوفى ٢٢٧هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء ، لابي عمر الدوري (١٠) : حفص بن عمر (المتوفى ٢٤٠هـ) .
- كتاب المقاطع والبيداء ، لابي حام السجستاني (المتوفى ٢٥٥هـ) .
- كتاب الوقف (١١) والابتداء ، لشعيب (المتوفى ٢٩١هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء (١٢) ، لابي ايسوب سليمان بن يحيى الضبي (المتوفى ٢٩١هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء (١٣) ، لابن كيسان (المتوفى ٣٢٠هـ) .
- كتاب ايضاح الوقف والابتداء (١٤) ، لابي بكر محمد بن القاسم الانباري (المتوفى ٣٢٨هـ) .

وتوجد كتب اخرى مذكورة في مصادر مختلفة ، تركت ذكرها لسببين :

الاول : ان قسما منها سيأتي ذكره في ثنايا البحث .

(٥) الفهرست / ٢٦ .

(٦) الفهرست / ٢٦ .

(٧) الفهرست / ٢٦ (وسماه خلف بن عبدالله) .

(٨) الفهرست / ٢٦ .

(٩) الفهرست / ٢٦ وانباء الرواة ١٣٤/٢ .

(١٠) الفهرست / ٢٦ .

(١١) معجم الادباء ١٥٢/١ وانباء الرواة ١٥١/١ .

(١٢) الفهرست / ٢٦ .

(١٣) معجم الادباء ٢٨١/٦ .

(١٤) الكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٢٩١هـ/١٩٧١م ، تحقيق :

الدكتور محيي الدين رمضان .

والآخر : ان بعضها ليس له اهمية كبيرة الى جانب هذه الكتب المذكورة . والامور تقاس باشباهها وامثالها .

وجتل هذه الكتب - المذكورة في القائمة السابقة - لم يبق منها سوى بقايا من نصوص تناقلتها كتب الوقف والابتداء ، الا « ايضاح الوقف والابتداء » . فقد بقي كله . ونال اعجاب العلماء وتقديرهم ، فلا غرو ان ينال عنايته النحاس . يضاف الى ذلك ان « ابن الانباري » استاذ النحاس ، فكيف يفوته كتاب استاذه !!

ويبدو « تفرّد » منهج النحاس عند مقارنته بمنهج « ابن الانباري » ، من حيث « المصطلحات والمصادر » . . .

أولا : المصطلحات بين الشمول والقصور

يقوم منهج « ابن الانباري » على ما يأتي :

١ - الاشارة الى مواقع الوقف دون الاشارة الى مواضع الابتداء (او الاثناف) ، الا من طرف خفي ، وبعبارات غير صريحة ، او بعبارات مقتضية جدا !! كقوله : (الوقف عندي على « تُرْجَعُونَ » (١٥) ، والوقف على « فأحياكم » غير تام ، لان قوله : « ثم يميتكم » ، نسق عليه و متصل به ، وليس هو مستأنفا ، على ما زعم السجستاني (١٦) .

٢ - استعمال المصطلحات الآتية :

أ - وقف تام (١٧) .

ب - وقف حسن (١٨) .

ج - وقف قبيح (١٩) .

د - وقف حسن غير تام (٢٠) ، او حسن

ليس بتمام (٢١) . والتعبير الاخير

يدخل في مصطلح « الحسن » .

اما النحاس فانه يشير الى مواقع الوقف ،

ويسميه (القطع) ، والى مواضع الابتداء ،

ويسميه (الاثناف) .

(١٥) من الآية ٢٨ من سورة البقرة ، ونسق الآية : (كيف تكفرون بالله ، وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) .

(١٦) ايضاح الوقف والابتداء ٥١٤/١ .

(١٧) نفسه ٥٢٨/١ ، ٥٢٩ .

(١٨) ايضاح الوقف والابتداء ٥٠١/١ ، ٥٢٨ ، ٥٥٢ .

(١٩) نفسه ٤٨٦/١ ، ٥٢٧ .

(٢٠) نفسه ٥١٧/١ ، ٥٢٩ .

(٢١) ايضاح الوقف والابتداء ٥٢٧/١ .

وأما المصطلحات التي يستعملها .. فهي :

- الوقف التام (او التمام) .
- الوقف الحسن .
- الوقف الكافي .
- الوقف الصالح .
- الوقف القبيح .

ومن الامثلة على هذا قول النحاس - عند حديثه عن سورة الحجر - : (اتم ، تلك آيات وقرآن مبين) : « تمام » عند أبي حاتم . (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) : قطع كاف . ا ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلتفهم الا مل) : تمام عند أبي حاتم . وخولف في ذلك لان بعده تهديدا متصلا بما قبله ، وان تمام : (فسوف تعلمون) . ولقد ارسلنا من قبلك في سبب الاولين : قطع صالح ، وكذا : (إلا كانوا به يستهزؤن) ... الخ (٢٢) .

وبلاحظ ان اكثر المصطلحات دورانا عند ابن الانباري مصطلح : الوقف الحسن ، واكثرها دورانا عند النحاس ، مصطلح : الوقف التام .

ثانيا : المصادر بين الاستيعاب والنظر بعين واحدة :

يكاد « ابن الانباري » يقتصر في كتابه على اقوال الكوفيين امثال الامام « حمزة » ، والكسائي ، والفراء ، وثعلب (٢٢) ، وكثيرا ما يتقبلها بقبول حسن ، ان لم يدافع عن بعضها . ولم يورد من كتب الوقف والابتداء البصرية الا اقوالا لابي حاتم السجستاني ، والاخفش سميد ولكنه يبدو مخالفا لابي حاتم في جل ما نقله عنه (٢٤) ، اما اقوال الاخفش فرد بعضها (٢٥) ، وانتصر لبعضها (٢٦) .

ونو قارنا هذه القضية بما اورده النحاس من آراء ظهر الفرق واضحا .

ويوضح هذه القضية عند النحاس ، مصادرته في كتابه « القطع والائتناف » . ونم

(٢٢) القطع والائتناف ، لوحة ١٢٢ : ب .

(٢٣) ابضاح الوقف والابتداء / ١ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٢٤) ابضاح الوقف والابتداء / ١ ، ٤٩٨ (رد واي ابي حاتم السجستاني وكذلك رده في / ١ ، ٥٠٥ ، ٥١٤ ، ٥٢١ .

(٢٥) ابضاح الوقف والابتداء / ١ ، ٥٢٠ .

(٢٦) نفسه / ٨٥ .

يتركنا مؤلفه حيارى نتلمس طريقا تبيح عن مصادره ، بل صرح باكثر منابع الكتاب في اوله - او في مدخله - واذا كان قد احجم عن ذكر بعضها - هناك - فانه ذكرها في اماكنها منه ما عدا « ابضاح الوقف والابتداء » لابن الانباري . اذ اعلم ذكره ، وان كان قد اعتمد عليه مصدرا ، وسنوضح هذه النقطة بعد قليل !!

ومصادره التي ذكرها في المقدمة انما اخدها عن ثلاثة اصناف من العلماء :

(ا) صنف القراء المتخصصين الذين كانت لهم انيد الطولى في ميدان القراءات ، امثال : ابي جعفر احمد بن عبدالله بن محمد بن هلال (٢٧) المقريء المصري (المتوفى ٣١٠ هـ) ، و ابي العباس احمد بن محمد البرائي (المتوفى ٣٠٢ هـ) (٢٨) .

(ب) صنف الفقهاء والمحدثين كابن جميل (المتوفى ٣٠٠ هـ) ، الذي روى عنه النحاس عن طريق محمد بن الجهم السمري ، ما يتصل باقوال القراء (٢٩) .

(ج) صنف اللغويين والنحاة امثال ابي بكر (٣٠) بن شقير (المتوفى ٣١٧ هـ) .

ويلاحظ من يقرأ « باب ذكر الاسانيد في الكتاب » ، ان اكثر الذين ذكرهم النحاس في اسانيد الكتاب هم اساتذة له او شيوخ نم تذكرهم المصادر التي ترجمت له او لاساتذته . وهذا يعني ان كتاب « القطع والائتناف » يكشف عن شيء جديد في حياة النحاس العلمية .

اما العلماء الذين نقل من اقوالهم ، ولم يذكرهم في باب الاسانيد في اول الكتاب ، فهم :

- نصير بن يوسف بن ابي نصر (ت ٢٤٠ هـ) .
- ومحمد بن عيسى بن ابراهيم الاصبهاني (ت ٢٥٣ هـ) .
- وابن قتيبة : عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) .
- والعباس بن الفضل بن شاذان (ت ٣١٠ هـ) .
- ومحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) .

(٢٧) ترجمته في طبقات القراء / ١ ، ٧٤ .

(٢٨) ترجمته في طبقات القراء / ١ ، ١١٣ .

(٢٩) القطع والائتناف لوحة ٩ : ا .

(٣٠) هو ابو بكر احمد بن شقير اللغوي النحوي المعروف ، ترجمته في تاريخ بغداد / ٨٩ ، ومعجم الادباء / ١١ / ٣ وانباه الرواة / ١ ، ٢٤ .

والثلاثة : نصير ومحمد بن عيسى والعباس
ابن الفضل ، لم يشتهروا كما اشتهر « ابن
قتيبة » او الطبري ، ولكنهم كانوا من ذوي
الشان الكبير ، في عصرهم .

فنصير كان ذا اهتمام باللغة ؛ وله فيها
مؤلفات وصفها « الازهري » (ت ٢٧٠ هـ) ، بأنها
« مؤلفات حسان » ؛ ولذلك كانت من مصادر
التهديب (٢١) . ولكن الازهري لم يسمها ، بل
سماها « ابن النديم » ؛ فذكر له : كتاب الأبل
وكتاب خلق الإنسان (٢٢) .

وقد اخذ « نصير » اللغة عن أبي زيد
والاصمعي وقد اخذ النحو والقراءة عن
الكساني (٢٣) .

ونقل النحاس عن « نصير » ذو جانبين :
فهو ينقل عنه ما يتصل بالوقف والابتداء ،
اولا ، وينقل عنه تعليقات نحوية تتصل بالموضوع
نفسه (٢٤) ، ثانيا .

اما محمد بن عيسى الاصبهاني فهو « امام
في القراءات كبير مشهور » . وله اخياران في
القراءة (٢٥) .

اما العباس بن الفضل بن شاذان فهو
« امثاذ متقن مشهور » ، ومؤلف كتاب المقاطع
والمبادئ (٢٦) (اي : الوقف والابتداء) .

اما من لم يذكره النحاس البتة ، مع اعتماده
على كتابه فهو « ابو بكر محمد بن القاسم
الانباري » فقد اهل ذكره ، واستفاد من كتابه :
« ايضاح الوقف والابتداء » (٢٧) !!

* * *

ومصادر النحاس اما مصادر متخصصة في
« الوقف والابتداء » ؛ واما مصادر اخرى
مساعدة .

(٢١) تهذيب اللغة ٢٢/١ .

(٢٢) الفهرست / ٢٥ .

(٢٣) طبقات القراء ٢٤٠/٢ والبقية ٢١٦/٢ (وفيه نصير بن
ابن نصر) ، ولعله فعل ذلك اختصارا .

(٢٤) القطع والائتناف ، لوحة : ١٢٩ : ب ، ١٣٠ : ا ،
١٣٩ : ا ، ٢٥٠ : ا ، ٢٥٢ : ا .

(٢٥) طبقات القراء ٢٢٢/٢ ، ٤٠٧ .

(٢٦) نفسه ٢٥٢/٢ .

(٢٧) يقارن القطع لوحة ٢٢ : ب بالايضاح ٥٢٠/١ .

فالمصادر المتخصصة هي :

● كتب في وقف التمام :

ا - كتاب وقف التمام ، لنافع بن ابي نعيم
(ت ١٦٩ هـ) ، وهو اول كتاب في موضوعه .

ب - كتاب وقف التمام ، ليعقوب الحضرمي
(ت ٢٠٥ هـ) .

ج - كتاب وقف التمام ، للاخفش سعيد بن
معدة (ت ٢١٥ هـ) .

د - كتاب وقف التمام ، لاحمد بن جعفر
الدينوري (ت ٢٨٩ هـ) .

● كتب الوقف والابتداء :

ا - كتاب انوقف والابتداء ، للفراء (ت
٢٠٧ هـ) .

ب - كتاب الوقف والابتداء ، لخلف بن
هشام البزار .

ج - كتاب المقاطع والمبادئ ، لابي حاتم
السجستاني . ولم يسمه النحاس ولكن
« الاندراي » (ت ٥٠٠ هـ) سماه في كتابه
« الايضاح » (٢٨) .

د - كتاب المقاطع والمبادئ ، للعباس بن
الفضل بن شاذان .

اما المصادر المساعدة فهي :

● كتب القراءات :

من الشخصيات التي ذكرها النحاس :
محمد بن عيسى الاصبهاني ، وابن قتيبة ،
والتبري ؛ وليس لاحد منهم كتاب في « الوقف
والابتداء » ، ولا في التمام ، بل لهم كتب في
القراءات .

فاسم كتاب الاصبهاني : « الجامع في
القراءات » (٢٩) ، أما كتاب « ابن قتيبة » فاسمه
« القراءات » (٤٠) . أما كتاب الامام « الطبري »
فاسمه (الجامع في القراءات) (٤١) .

وارجح - ولا اجزم - ان النحاس اعتمد
على هذه الكتب لأنها قد تذكر الامور المتعلقة

(٢٨) الايضاح في القراءات ، ورقة ١٣٥ : ب .

(٢٩) ينظر طبقات القراء ٢٢٤/٢ وانباء الرواة ١٤٦/٢ .

(٤٠) الفهرست / ٢٥ .

(٤١) طبقات القراء ١٠٧/٢ .

« بالوقف والابتداء » ، ومعرفة القراءات ضروري جدا في بعض الحالات لمعرفة « القطع والانتناف » .

ولكننا نلاحظ في استعمال النحاس القراءات أمرين :

الاول : ان استعماله القراءات قليل ، فلم يذكرها الا اذا تعلقت بايضاح الوقف والابتداء ، وقد وضع النحاس ذلك بعبارة صريحة (٤٢) .

الآخر : ان القراءة هي « المسوِّغ الوحيد » الذي يُجيز فيه النحاس اكثر من وجه ، في الوقف ..

ففي بيان « الوقوف » في الآية الكريمة ٨٢ من سورة النمل : (واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) ، قال : اذا كانت القراءة بكسر ان ، فهي قراءة ابي جعفر وشيبة ونافع وابي عمرو . والقول الآخر ، كما قال يعقوب ؛ وهو مذهب الفراء لانه يذهب الى ان « إن » مكسورة على الاستئناس . وقرا الحسن وابن ابي اسحاق وعاصم والاعمش وحمزة والكسائي « ان الناس » - بفتح همزة ان - فالتمام على هذه القراءة « لا يوقنون » (٤٢) .

● كتب النحو وآراء النحاة

ان آراء النحاة والمسائل النحوية كانت من الاسس التي سوتت للنحاس « نظرية الاحتمالات النحوية » في كتبه الثلاثة : « اعراب القرآن » وشرح القوائد التسع ، ومعاني القرآن .

اما في كتاب « القطع والانتناف » ، فقد اتخذ منها موقفا جديدا .

ذكر النحاس في ثنايا كتابه مجموعة من النحاة مثل الخليل (٤٤) ، وسيبويه (٤٥) ، والمبرد (٤٦) ، والافخشي : الاوسط (٤٧)

(٤٢) القطع والانتناف ، لوحة ٢٤٢ : ب - قال النحاس - وهو يتحدث عن مواضع القطع في « سورة الجن » - : (وانما ذكرنا كل ما بلغنا من القراءات في هذه السورة لان من اراد ان يعرف القطع والانتناف فيها احتاج الى معرفة القراءات فيها) .

(٤٣) القطع والانتناف ، لوحة ١٦٧ : ا - ب (ويراد بالحسن : الحسن البصري الامام الجليل ، المتوفى ١١٠ هـ) .

(٤٤) القطع والانتناف ، لوحة : ٢٤٤ : ا .

(٤٥) القطع والانتناف ، لوحة : ١٢٥ : ب .

(٤٦) نفسه ، لوحة : ٢٤٧ : ب .

(٤٧) القطع والانتناف ، لوحة ١٨ : ا ، ولوحة ٤٤ : ب .

والاسفسر (٤٨) ، كما ذكر الرؤاسي (٤٩) والكسائي (٥٠) ، والفراء (٥١) ، وغيرهم .

ولكن الملاحظ ان النحاس لم يتناول قصايا النحو تناولا تفصيليا ، بل اقتصر على الاصول العامة ، ولم يمس الجزئيات الا مسما خفيفا .

ففي حديثه عن « وقف التمام » في « سورة النازعات » - لا سيما الآيات : ١ ، ٢ ، ٥ ، ٥٥٠ .

٢٦ - قال : (من قال جواب القسم : « إن » في ذلك لعبرة لمن يخشى » قال ههنا التمام . ومن قال : الجواب محذوف لانه قد علم المعنى ، قال : « فالدبرات امرا » ، والتقدير عنده : « لتُبْعَثُنْ ولتَحَاسِبُنْ » ، وهذا مذهب الفراء . ومن قال : فاذا هم بالساهرة ... والنازعات (٥٢) ، فالتمام عنده « بالساهرة » . وهذا قول ذكره ابو حاتم ؛ وهو على بُعد خطأ من جهتين : احدهما انه يتبدى بالفاء ، وهذا لا يجوز عند احد من النحويين . والاخرى ان اول السورة واو القسم ، وسبيل القسم في النحو اذا ابتدء به الا يلغى ، وان يكون له جواب . وهذا اصل من اصول النحو (٥٣) .

وهذا المنهج يخالف تماما ما سار عليه في كتبه الثلاثة المذكورة من قبل .

فقضية « العطف على الضمير المخفوش بالاسم الصريح » ، قد فصل فيها القول في « اعراب القرآن » فاستغرقت ما يقرب من (٣٤ سطرا) (٥٤) ، وذكر فيها رأي البصريين والكوفيين ، وخص بالذكر سيبويه والمازني (٥٥) ، ولكنه اشار الى هذه القضية اشارة خفيفة في « القطع والانتناف » ، ولم يشر الى اسم احد من النحويين ، بل قال : « وقد اجاز العطف على الضمير جماعة من النحويين » (٥٦) !!

فلماذا اهمل ذكر التفاصيل النحوية في

(٤٨) القطع والانتناف ، لوحة ١٧ : ب .

(٤٩) القطع والانتناف ، لوحة ٢١٨ : ا ، ٢٥١ : ب ، ٢٥٢ : ا .

(٥٠) نفسه ، والمواضع نفسها .

(٥١) نفسه ، لوحة ١٦٧ : ا .

(٥٢) أي : على التقديم والتاخير .

(٥٣) القطع والانتناف ، لوحة ٢٤٨ : ب .

(٥٤) أعني من سطور كتابتنا وليس من سطور المخطوط .

(٥٥) اعراب القرآن ، لوحة ٤٤ : ا .

(٥٦) القطع والانتناف ، لوحة ١٢٤ : ا .

كتابه « القطع والائتناف » ، دون بقية كتبه النحوية ؟

تعليل ذلك انه استخدم قوانين النحو واصونه لتفسير ظاهرة « الوقف والابتداء » ، تفسيراً نحويًا . وكتابه ليس في قواعد النحو ومسائله التفصيلية ؛ لكنه كتاب يعلل تلك الظاهرة تعليلاً نحويًا .

والفرق واضح بين استخدام القواعد والحديث عنها .

ففي الحالة الاولى تكون القواعد وسيلة للتفسير ، وفي الحالة الاخرى تكون القواعد غاية مقصودة ...

والنحاس استعمل الاسول النحوية فاكثر منها ، غير انه أهمل الجزئيات والفروع .

اما « ابن الانباري » فمنهجيه قائم على التقليل من التعليقات ، ويفلب عليه « المنهج الوصفي » المقتضب .

والنحاس مولع بالتعليقات ، ولم يتركها الا في سور قليلة ، وفي مواضع قليلة من السور التي اكثر فيها من التعليقات .

وقد كان واضحاً كل الوضوح حين قال في صدر « سورة الانعام » : (قد ذكرنا ما تقدم من السور على تفصّل وشرح ، فكان في ذلك دليل على كثير مما يرد من انقطع التام والحسن والكافي والصانع ، فقس على ذلك ، فاني لسويت بذلك الى آخر الكتاب على تفصّل طال ، فرأيت الا اذكر النواضع المفهوم المعنى ، واذكر المشكل ، وما لا يفهم الا بفكر ونظر ، ولا يعرف الا يعلم بالتأويل ورواية التفسير) (٥٧) .

فالتعليل والاستقصاء والمعيارية النحوية ، شرحت على تفصّل في اول الكتاب .

اما السور القصيرة فقد قل فيها التعليل ، والمعيارية النحوية ، لان المؤلف قدم ما يشبه تلك الحالات ، وبينها بوضوح تام .

والخلاصة

ان كتاب النحاس يتميز بثلاثة امور وبها يختلف عن كتاب ابن الانباري .

١ - ان منهج النحاس اشار الى اكثر مواضع

(٥٧) القطع والائتناف ، لوحة ٧٩ : ب .

« الوقف والابتداء » في القرآن ، واستعمل مصطلحات اكثر احاطة بتلك المواضع .

اما « ابن الانباري » فلم يستعمل تلك المصطلحات كلها ولم يشر الى جل مواضع الوقف والابتداء .

٢ - استوعب النحاس معظم المؤلفات في موضوع كتابه . وأشار الى الآراء المختلفة المتصلة بمادته دون تمييز ، الا من ناحية الصواب والخطأ .

اما ابن الانباري فقد اقتصر على آراء جماعة من انكوفيين ، ولم يشر الى البصريين الا قليلاً ، مع الرد على اكثر هذه الآراء البصرية ، فكانه اوردها ليرد عليها .

٣ - يتميز منهج النحاس بالتعليل والتفسير المدعّمين بالمعيارية النحوية .

اما ابن الانباري فيغلب على منهجه الوصفية المقتضبة التي تجعل القارئ ليتساءل احياناً : لماذا كان هذا الوقف حسناً او قبيحاً ؟ لكنه لا يجد تعليلاً .

ومسده انخصائص الثلاث التي تميز كتاب النحاس جعلت كتاب « القطع والائتناف » مصدراً لجمهور المؤلفين في هذا الموضوع ، ولم يتجاوزه الا قليل منهم ، مما جعله ذا تأثير في المؤلفات المماثلة على مر العصور ...

وهذا شأن كل عمل أصيل .

المبحث الثاني

أثر « القطع والائتناف » في الدراسات القرآنية

يَتَجَلَّى

أثر كتاب « القطع والائتناف » واضحاً في الدراسات القرآنية الآتية :

● كتاب « المكتفى في الوقف والابتداء » لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (المتوفى ٤٤٤هـ) .

● رسالة « الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم » ، لمكي بن أبي طالب (المتوفى ٤٢٧هـ) .
● تفسير أبي المظفر السمعاني (المتوفى ٤٨٩هـ) .

● كتاب « علم الاهتداء في الوقف والابتداء » ، لابن الامام المتوفى ٧٤٥هـ) .

(١)

أثر « القطع » في « المكتفى »

أبو عمرو الداني مقرب من أهل الأندلس وعالم بالفقه والتفسير لا يشق له غبار ، أجمع العلماء على توثيقه إلا ما صدر عن خصومه ولا عبرة بأحكام الخصوم .

وقد وصفه « ابن بشكوال » بقوله : (كان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وأعرابه ، وجمع في ذلك تأليف حسنا يطول تعدادها) (٥٨) .

وقال عنه الإمام الذهبي : (إلى أبي عمرو المنتهى في اتقان القراءات ، والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء ، وغير ذلك) (٥٩) .

أما إمام القراءات في عصره « ابن الجزري » فقال في وصفه : (الإمام العلامة الحافظ ، أستاذ الاستاذين ، وشيخ مشايخ المقرئين . سمع الحديث وبرز فيه وفي أسماء رجاله ، وفي القراءات علما وعملا وفي الفقه والتفسير وسائر أنواع العلوم) (٦٠) .

هذا غيض من فيض مما قاله الأئمة العلماء في حق أبي عمرو الداني : « وقدر الشهادة قدر الشهود » .

فإذا كان هذا مقامه في العلم ، فما بانك به حين يعتمد على كتاب « النحاس » : (القطع والائتناف) ، ليؤلف مثله ، وينسج نسيجه ، فيخرج لنا كتابه : « المكتفى في الوقف والابتداء » ؟ اليس ذلك دليلا كافيا على مقدار ما ناله كتاب النحاس من أهمية وشهرة في ميدان الدراسات القرآنية ؟ وإن أثر كتاب « القطع » في كتاب « المكتفى » (٦١) ، يتضح فيما يأتي :

(١) إن جميع أسماء الاعلام الواردة في كتاب الداني ، قد وردت - من قبل - في كتاب النحاس .

(٢) وإن المصطلحات التي نقلها « الداني »

(٥٨) معرفة القراء الكبار ١/٢٢٧ .

(٥٩) نذرة الحفاظ ٣/١١٢١ .

(٦٠) طبقات القراء ١/٥٠٢ ، ٥٠٤ .

(٦١) ينظر « المكتفى في الوقف والابتداء » ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، رقم ٩١ قراءات .

هي مصطلحات أنحاس ، وليس فيها من زيادة سوى انتفريعات ، والجزئيات .

(٣) وإن جمل التعميلات الواردة في كتاب « المكتفى » قد وردت في كتاب « انقطع والائتناف » .

وقد حقق الزميل « جايد زيدان مخلف » ، كتاب « المكتفى » ، ونال به درجة الماجستير من جامعة الأزهر الشريف .

وقد اطلعت على الكتاب - بعد تحقيقه - فوجدته قد أشار إلى تأثر « الداني » بالنحاس ، واعتمد على الدراسة التي قام بها الزميل الدكتور أحمد خطاب لكتاب « القطع والائتناف » ، مصرحا بذلك ...

ولهذا تركت الحديث عن هذه النقطة لأن الدكتور أحمد خطاب قد سبقني إليها ، و « هو بسبق حائر تفضيلا » .

(٢)

أثره في رسالة « الوقف على كلا وبلى في القرآن »

« الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم » رسالة صغيرة للإمام مكي بن أبي طالب - معاصر الداني . وتقع في (٢٨) صفحة مع انقطع المتوسط (٦٢) .

ويبدو أثر كتاب « القطع » في هذه الرسالة من ناحيتين :

- أ - ناحية المنهج العام .
- ب - ناحية التفاصيل .

(١) أما من ناحية المنهج العام فإن أثر كتاب النحاس يبدو في :

(١) التخطيط العام

أما من حيث التخطيط العام فإن النحاس قسم الوقف على « كلا » ، من حيث الجسواز وعدمه ، خمسة أقسام ، فقال : (فاما الوقف - أي : على كلا - ففيه خمسة أقوال فمن

(٦٢) الرسالة منشورة في مجلة كلية الشريعة ، ببغداد ، العدد الثالث ، سنة ١٩٦٧ ، صفحات : ٦٧ - ١٢٣ ، والنص من ١٠١ - ١٢٩ ، والصفحات الباقية للدراسة والتعليقات ، والهوامش ، وهي بتحقيق الدكتور حسين نصار .

نحو : « تظن أن يفعل بها فاقرة ، كلا » (٧٠) ،
اي : حقا ما ذكر . وذهبت طائفة الى تفصيلها ؛
فيوقف عليها اذا كان ما قبلها يُردّ وينكر ،
ويبتدأ بها اذا كان ما قبلها لا يُردّ ولا يُنكر ،
وتوصل بما قبلها وما كان بعدها اذا لم يكن قبلها
كلام تام ، نحو : « ثم كلا سوف تعلمون » (٧١) .

ثم رجح « مكي » الرأي الاخير فقال :
(وهذا المذهب اليق بمذاهب القراء ، وحلداق
اهل النظر ، وهو الاختيار وبه أخذ) (٧٢) .

فمكي لم يفعل سوى ان جاء بأقوال النحاس
الخمسية ، وحافظ على ايراد قسم من اسماء
الاعلام فيها ، ورجح ما رجحه انحاس من تلك
الاراء !!

(٢) احصاء الاقوال وتفصيلها

اما اثر النحاس من هذه الناحية فيبدو
في الاحصائيات التي تناونها لمواضع من وقف
التمام .

ان « مكي » يحصي عدد « الائمة » (٧٣) في
كل سورة ويعددها ، ويذكر اقوال جماعة من
العلماء المؤلفين في الموضوع (٧٤) .

وهذا منهج النحاس قبله . ففي الحديث
عن الائمة في سورة الفاتحة : ام القرآن ، قال :
(في ام القرآن خمسة ائمة ...) ، ثم اخذ
يعددها (٧٥) . وفي حديثه عن الائمة في سورة
الحجر ، قال : (اكثر من عمل كتابا في اتمام بقلل
التمام في هذه السورة ؛ فلم يذكر « نافع » منها
الا خمسة مواضع ، ولم يذكر احمد بن جعفر
فيها الا موضعا واحدا ...) الخ (٧٦) .

اليس هذا دليلا على تأثر « مكي » بمنهج
النحاس ؟

(٣) استعمال المصطلحات

اما من حيث المصطلحات فان جميع
مصطلحات الوقف والابتداء الواردة عند « مكي »

(٧٠) سورة القيامة ، الايتان : ٢٥ - ٢٦ .

(٧١) سورة التكاثر ، الآية : ٤ .

(٧٢) رسالة الوقف على كلا وبلى / ١٠١ - ١٠٢ .

(٧٣) الائمة ، جمع تمام ، اي : وقف التمام .

(٧٤) الوقف على كلا وبلى / ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٧٥) القطع والانتاف ، لوحة : ١١ : ب .

(٧٦) نفسه ، لوحة ١٢٣ : ا .

النحويين من يقول : لا يوقف على كلا في شيء في
جميع القرآن لانها جواب ، والفائدة تقع فيما
بعدها . وهذا قول ابي العباس احمد بن
بحي (٦٣) . ومنهم من يقول : يوقف على كلا في
جميع القرآن . ومنهم من قال : يوقف على ما قبل
« كلا » اذا كانت رأس آية . وهذا قول
« نصير » . ومنهم من يقول : يوقف على ما قبلها
بكل حال . والقول الخامس : ان « كلا » تنقسم
قسمين : احدهما : ان تكون ردعا وزجرا ، وهذا
قول « الخليل » . وابو حاتم يقول : انها بمعنى
« الا » ، فاذا كانت كذلك كانت مبتدأة كقول
الله جل وعز : « كلا والقمر » (٦٤) ، وكذا :
« كلا سوف تعلمون » (٦٥) . الاخر : ان تكون
ردعا وزجرا وردا لكلام تقدم ؛ فيكون الوقف
عليها حسنا ؛ كقول الله جل وعز : « ام اتخذ
عند الرحمن عهدا ؟ كلا » (٦٦) . قال ابو حاتم :
اي لم يطلع الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن
عهدا (٦٧) .

ثم رجح النحاس هذا القول فقال : (وهذا
من احسن الاقوال ، وهو قول الخليل ، ثم اتبعه
على ذلك الاخفش ، ثم اتبعه على ذلك ابو حاتم .
وهذا قول القراء) (٦٨) .

اما « مكي » فقد ذكر في الباب الاول من
الرسالة هذه الاقسام ، فقال : (اختلف النحويون
في الوقف على « كلا » والابتداء بها : فذهب طائفة
الى انها افتتاح فلا يوقف عليها ولا يبتدأ بها .
وهو مذهب ابي العباس ثعلب وغيره ؛ قالوا :
لانها جواب ، والفائدة فيما بعدها . وذهب قوم
الى انها يوقف عليها اذا كانت رأس آية خاصة ؛
وهو مذهب « نصير المقرئ » . وذهب طائفة
الى انها يوقف عليها في كل موضع . فاذا كان قبلها
ما يُردّ وينكر كان معناها : ليس كذلك ، نحو :
ام اتخذ (٦٩) عند الرحمن عهدا . كلا ... واذا
كان قبلها ما لا يُردّ ولا ينكر كان معناها : « حقا »

(٦٣) هو : « ثعلب » النحوي الكوفي المتوفى ٢٩١ هـ وهو
من القران المبرد البصري !! وان كان لا يجاريه .

(٦٤) سورة المدثر ، الآية : ٣٢ .

(٦٥) سورة التكاثر ، الآية : ٤ .

(٦٦) بشر الى الايتين : ٧٨ - ٧٩ من سورة مريم : (اطلع
الغيب ، ام اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا ...) .

(٦٧ - ٦٨) القطع والانتاف ، لوحة : ١٢٩ : ا .

(٦٩) ورد الفعل (اتخذ) مستندا الى واو الجماعة ، في كتاب
النحاس ونقله منه مكي . والصحيح ما البتاه ، وهذا
دليل على ان مكي تابع النحاس حتى في هذا !!

من وقف التمام (٧٧) ، والوقف الحسن (٧٨) ،
والجائز (٧٩) ، وغير الحسن (٨٠) ، هي مصطلحات
النحاس .

أما انوقف الجيد الذي ذكره « مكى » قليلا
فقد ذكره النحاس استطرادا (٨١) .

(ب) أما اثر كتاب النحاس في رسالة
« مكى » من حيث التفاصيل فيتجلى في المظهرين
الآتيين :

(١) الآراء المنسوبة الى المؤلفين في انوقف
والابتداء .

(٢) التعليقات .

أما من حيث الآراء المذكورة في رسالة
« مكى » المنسوبة الى العلماء المؤنفين في الوقف
والابتداء ، فان جميع الاسماء التي ذكرها
« مكى » هي من مصادر النحاس الكثيرة فقد
ذكر مكى من الاعلام المؤلفين في الوقف والابتداء
الاسماء الآتية :

نافعا (ت ١٦٩هـ) والاخفش سعيد بن
مسعدة (ت ٢١٥هـ) ، ونصير بن يوسف الرازي
البنفادي (ت ٢٤٠هـ) ومحمد بن عيسى (ت
٢٥٣هـ) ، وأبا حاتم السجستاني (٢٥٥هـ)
واحمد بن جعفر الدينوري (ت ٢٨٩هـ) واحمد بن
موسى (القرن الثالث) ، والامام الطبري
(ت ٣١٠هـ) . . .

وهذه الاسماء كلها جاءت في « القطع
والالئاف » للنحاس .

وهناك قرينة واضحة جدا في رسالة
« مكى » تؤكد انه اعتمد على كتاب النحاس في نقل
هذه الاسماء وهذه القرينة هي : ان المواضع التي
اشار فيها النحاس الى « نافع » صاحب كتاب
وقف التمام (٨٢) ، موجودة كلها في رسالة « مكى »
في المواضع نفسها اعنى مواضع السور . والمواضع
التي تركها النحاس فلم يشر فيها الى « نافع »
تابعه فيها « مكى » فلم يذكرها . والسور التي
لم يشر فيها النحاس الى « نافع » هي : الدخان

— والرحمن — والانسان . وهي المواضع التي لم
يشر فيها « مكى » الى « نافع » .

(٢) أما من حيث التعليقات فان تعليقات
« مكى » هي تعليقات النحاس ، مع زيادات
اضافتها مكى ، لا سيما في المواضع التي ترك
النحاس فيها التعليق او اوجزه .

ونضرب لما قلناه مثالين يوضحان ما اوجزناه
في النقطتين السابقتين .

والمثال الاول قول « مكى » وهو يتحدث
عن الوقف على « كلا » : (ومن ذلك موضعان
في « الفجر » : الاول قوله تعالى : « فيقول ربي
اهانن . كلا » . الوقف على كلا حسن تجملها
ردا لما قال الانسان ، اذ قد ادعى ان تضيق الله
عليه في رزقه اهانة له من الله . فالمعنى ليس الامر
على ما قال الانسان . لم يهنه بتضيق الرزق ،
ولا اكرمه بسعة الرزق ، ولكن يجب ان بحمد
الله على الفنى والفقر . ومذهب الاخفش واحمد بن
موسى ان يبدأ بكلا على معنى حقا او على معنى :
الابل لا يكرمون . والثاني قوله تعالى :
« وتحبون المال حبا جما . كلا اذا دكت الارض
دكا » . الوقف على كلا لا يحسن لانك كنت تنفي
ما اخبر الله به من كثرة حب المال ، وذلك لا
يجوز نفيه . واجاز « نصير » الوقف على « كلا » ،
والمعنى لا يغنى عنكم جمع المال وتوفيره (٨٢) .

وهذا النص مستوحى من نص النحاس
الآتي مع تغيير بسيط : قال النحاس في الموضع
السابق من السورة السابقة : (التمام (٨٤) عند
الافخش واحمد بن موسى « فيقول ربي اهانن » .
فاما ابو حاتم فاجاز الوقف على اهانن وعلى كلا .
واما « نصير » فالوقف عنده على « اهانن . كلا » ،
وهو مذهب القراء واختلفا في المعنى فقول نصير
ان معنى كلا (٨٥) : لم اهنه . وقول القراء ان
معنى « كلا » : لم يكن ينبغي له ان يقول هذا ،
ولكن بحمد الله عز وجل على الامرين جميعا :
على الفنى والفقر . قال ابو جعفر (٨٦) : وانقولان
حسان الا ان قول « نصير » اشبه بقول اهل

(٨٢) الوقف على كلا وبلى / ١١٢ .

(٨٤) اي : وقف التمام .

(٨٥) في الاصل « ان كلا لم اهنه » وما ائتناه هو الصحيح
اذ لا يقوم الفنى والسياق بدونه ، وما بعده يؤيد ما
ائتناه .

(٨٦) ابو جعفر : اي : النحاس .

(٧٧) رسالة الوقف على كلا وبلى / ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٧٨) المرجع نفسه / ١٢٥ ، ١٢٧ .

(٧٩) المرجع نفسه / ١٢٢ ، ١٢٦ .

(٨٠) المرجع نفسه / ١٢٦ .

(٨١) القطع والالئاف لوحة ٢٥١ : ب .

(٨٢) المرجع نفسه لوحة ٢ : ب .

التأويل لأن قول « الحسن » (٨٧) : ان معنى كلا : ليس يهان أحدٌ نفقراً ولا يكرم لغنى . وقال « قتادة » (٨٨) : لا يهان أحد لفقر ولا يكرم لغنى وإنما يكرم بطاعة الله ويهان بمعصيته . « وتحتون المال حبا حبا » . هذا الوقف عند ابي حاتم والوقف عند نصير حبا حبا . كلا . والمعنى عنده : لا يغنى عنكم جمع المال (٨٩) .

والمثال الثاني هو قول « مكي » - وهو يتحدث - عن انوقف على كلا في الآية الكريمة : « ألم يعلم بأن الله يرى . كلا » من سورة العلق . قال مكي : (الوقف على « كلا » لا يحسن لانك كنت تنفي رؤية الله لاعمال عباده . وذلك كقفر . وقد اجاز الطبري والقنبي الوقف عليها ؛ جعلها نفيا للعلم عن الكافر كانه قال : ألم يعلم بأن الله يرى . كلا . اي : لم يعلم ابو جهل بذلك) (٩٠) .

ونص « مكي » مستوحى من نص النحاس ، حيث قال الاخير في الموضع السابق من السورة المذكورة : (« ألم يعلم بأن الله يرى » ، تمام عند ابي حاتم والتمام عند (القتيبي) (٩١) ، ومحمد بن جرير : ألم يعلم بأن الله يرى . كلا . والمعنى : ألم يعلم بأن الله يرى ؟ لا نهيا لابي جهل (٩٢) .

والخلاصة

ان مكي تأثر بكتاب « القطع والائتناف » ، في رسالته : « الوقف على كلا وبلى » ، غير انه لم يشر الى النحاس صراحة الا مرة واحدة

(٨٧) الحسن : اي : الحسن البصري التابعي المشهور ت ١١٠ هـ .

(٨٨) قتادة : هو قتادة بن دعامة السدوسي التابعي ت ١١٧ هـ (وفيات الاميان ٢/٢٤٨) .

(٨٩) القطع والائتناف لوحة ٢٥٢ ا .

(٩٠) الوقف على كلا وبلى / ١١٢ .

(٩١) القتيبي : اي : ابن قتيبة الدينوري المشهور . وهكذا وردت نسبه عند النحاس وفي البنية ٩٢/٢ وطبقات الفرين ، للداودي ١/٢٤٥ (والآخر ينقل عن شيخه السيوطي بلا نقاش) .

وقد ضبطه السمعاني « بضم القاف وفتح التاء وكسر الباء ، وبعدها ياء النسب . وكذا جاء عند ابن الجزري (انظر الانساب ٤٤) : ب وطبقات الفراء ٢/١٨٥) ، وهذا هو الصواب لان النسبة الى فعيلة : فعلى ، مثل جهينة جهني . وما دامت نسبه الى قتيبة ، فالقياس فيها : قتيبي .

(٩٢) القطع والائتناف ، لوحة : ٢٥٢ : ا .

(٩٣) الوقف على كلا وبلى / ١٠٨ .

ارتضى فيها رايه . اما في غير هذا الموضع فلم يشر اليه .

والذي اطمئن اليه ان رسالة « مكي » ملخصة من كتاب النحاس هذا ، وليس فيها سوى اضافات جزئية ، لا تغير من هذه الحقيقة شيئا !!

(٢)

اثره في تفسير « ابي المظفر السمعاني »

ابو المظفر السمعاني هو منصور بن عبد الجبار (٤٢٠ - ٤٨٩ هـ) ، جد السمعاني (٩٤) ، صاحب الانساب (المتوفى ٥٦٢ هـ) .

ولابي المظفر تفسير كبير للقرآن ، منه نسخة بدار الكتب ، برقم ١٣٦ تفسير .

وقد ظهر لي بعد قراءة في هذا التفسير انه متأثر بكتب النحاس : القطع والائتناف ، واعراب القرآن ، ومعاني القرآن .

وساقتصر على بيان تأثره بالقطع .

استفاد ابو المظفر من كتاب « القطع والائتناف » ولكن بصورة اقل من فائدته من كتابي النحاس الآخرين .

ولعل من اوضح الامثلة على تأثره بكتاب النحاس ، اخذ ما دار حول الاشكال الواقع في تفسير الآية السابعة من سورة ال عمران : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » .

والاشكال هو : ما معنى الواو في قوله تعانى : « والراسخون » اتفيد العطف فيكون الراسخون في العلم ممن يعلم تأويله ، ام تفيد الاستئناف ، ويكون الوقف تاما عند قوله تعالى : « الا الله » ، فلا يدخل الراسخون فيمن يعلم تأويله ؟

وقد افاد النحاس من كل العلماء المتقدمين الذين وقفوا عند هذه الآية . فشرحها بما يشفى ويكفى : فقال : « وما يعلم تأويله الا الله » : مختلف فيه ، فمن العلماء من قال : هذا التمام . فممن روينا عنه انه قال : « وما يعلم تأويله الا الله » ، تمام ، وما بعده منقطع منه : نيف

(٩٤) ترجمة ابي المظفر السمعاني في كتاب « الانساب » ٢٠٧ :

ب وطبقات الفرين ٢/٢٢٩ .

وعشرون رجلا من الصحابة والتابعين والقراء والفقهاء وأهل اللغة . فمن الصحابة ثلاثة : عائشة رضي الله عنها ، وابن عباس ، وابن مسعود . ومن قال بهذا من التابعين ثلاثة الحسن وابن نهيك ، والضحاك . وقال بهذا من الفقهاء : مالك بن أنس . وقال بهذا ثلاثة من القراء : نافع ويعقوب والكسائي . وقال به من النحويين : الاخفش سعيد والقراء وسهل بن محمد (٩٥) ، وهو يروي عن عمر بن عبدالعزيز ، وعروة بن الزبير ، وبه قال ابو عبيد (٩٦) ، وكان محمد بن جرير (٩٧) يذهب اليه . ومن قال به : ابو اسحاق (٩٨) وابو الحسن بن كيسان واحمد بن جعفر الدينوري ، وكذا روي عن السدي . ومذاهبهم في ذلك متقاربة . قال السدي : « وما يعلم تأويله الا الله : المنسوخ . وقال ابو اسحاق : وما يعلم تأويله » يعني البعث . قال النحاس : (انما يقع الاشكال في هذا ان من الناس من يتوهم ان معنى : « وما يعلم تأويله » ، انه القرآن . ويجعل التأويل بمعنى التفسير . وقد وقع هذا « للقتبي » ورايت علي بن سليمان (٩٩) ايضا كذلك) .

وعقب النحاس على هذا الرأي بقوله : ا وليس كذا تأويل العلماء وانما قولهم : وما يعلم تأويل متشابهه الا الله ، فمنهم من جعل المتشابه المنسوخ ، ولم يكن احد يعلم ما ينسخ من القرآن الا الله ، جل وعز ، عن قيام الساعة . وقال جل وعز : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع » (١٠٠) . . . الآية . فلولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم عرفهم انه طلوع الشمس من مغربها لما علمه احد ممن خوطب به . فهذا مما لا يعلمه الا الله - جل وعز - وليست للناس حاجة اني علمه) .

وقالت طائفة من العلماء : والراسخون في العلم يعلمون تأويله ، وجعلوا التأويل بمعنى التفسير للقرآن .

نمن ثبت عنه هذا القول : مجاهد ،

(٩٥) هو ابو حاتم السجستاني .

(٩٦) هو القاسم بن سلام .

(٩٧) هو الامام الطبري ، والراي في تفسيره ١٨٢/٢ .

(٩٨) هو ابراهيم بن السري المصروف بالزجاج ، استاذ النحاس .

(٩٩) هو الاخفش الصغير المتوفى ٢١٥ هـ .

(١٠٠) سورة الانعام ، الآية : ١٥٨ .

ومحمد بن جعفر بن الزبير ، وانربيع بن انس ، وهو قول (الفتيبي) ، وعلي بن سليمان .

فقال النحاس : (« فالقطع على قولهم - ان شئت - والراسخون في العلم ، على ان يجعل « يقولون » مستانفا ، وان شئت كان انقطع « امنا به » والقطع بعده : « وما يذكر الا اولو الالباب » (١٠١) .

اما ابو المظفر السمعاني ، فانه اخذ معظم التفاصيل : من كتاب « القطع والانتفاء » ، واختار رايه اوردته النحاس ايضا .

قال ابو المظفر : (اعلم ان ابي بن كعب وعائشة وابن عباس - في رواية طاووس - يقولون : ان اوقف على قوله : « الا الله » ، وهو قول الحسن واكثر التابعين ، وبه قال الكسائي والقراء والاخفش وابو عبيد وابو حاتم ، وقالوا : ان انوار في قوله : « والراسخون » : واو الابتداء . والدليل على صحته قراءة « ابن عباس » : « وما يعلم تأويله الا الله » ويقول الراسخون في العلم : امنا به . والصحيح رواية « طاووس » عن « ابن عباس » ، وعليه اجماع القراء . قالت اشعاه : وانما يستقيم ان يقول : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم قائلين : امنا به كل من عند ربنا » ، ولو علموا التأويل لم يكن لقولهم هذا معنى ، فدل على ان اوقف على قوله : « الا الله » ، والواو واو الابتداء في قوله تعالى : « والراسخون في العلم يقولون : امنا به كل من عند ربنا » ، قائلوا : ومن رسوخهم في العلم يقولون ذلك (١٠٢) .

ليست هذه التفاصيل دلالة واضحة على ان ابا المظفر السمعاني قد استفاد من كتاب النحاس « القطع والانتفاء » ؟

(٤)

آثره في كتاب « علم الاهتداء »

ومن الكتب التي اعتمدت على كتاب « القطع والانتفاء » ، « علم الاهتداء في اوقف والابتداء » (١٠٢) ، لابي عبدالله : محمد بن

(١.١) هذه التفاصيل في كتاب : القطع والانتفاء ، لوحة ٧ : ١ .

(١.٢) تفسير ابي المظفر ١ : ورقة ٧٤ : ب .

(١.٣) مخطوط الخزانة الملكية بالمغرب برقم ١٥٥ .

محمد بن علي بن همام المصري الشافعي المعروف
بأبن الامام (٦٨٢ - ٧٤٥ هـ) .

وهو مقررء علامة محقق (١٠٤) .

وكتابه « علم الاهتداء » ، مختصر في
موضوعه ، وتكنه اختصار العارف بفنه ، المطع
على ما يتصل بهذا الفن ، من اصول وفروع .

وقد طالعه أبو حيان النحوي : محمد بن
يوسف (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) بتكليف من الملك الناصر
محمد بن قلاوون ، فلما انتهى منه بعد تدقيق
وتمحيص ، كتب عليه : (طاعت هذا الكتاب على
وجه الانتقاد لا على نية حسن الظن والاعتقاد ،
فوجدته أحسن ما صنف في هذا الباب ، وأحرى
التصانيف فيه الى الصواب) (١٠٥) .

هذا كلام رجل خبير بالقراءات ، وعانم
بغنون شئى ، ومن ذا الذي لا يعرف أبا حيان
النحوي من دارسي العربية ؟ والتعريف به هنا
نون من ألوان الإنكار نشهرته ...!

والكتاب الذي وصفه أبو حيان بهذا
الوصف - وأظنه لم يطلع على كتاب النحاس -
كان كثير الاعتماد على كتاب « القطع والائتناف »
منهجا وتفصيلا .

وقد صرح « ابن الامام » بالاعتماد على بعض
آراء النحاس (١٠٦) .

وتأثره يتضح من ناحيتين ، كما يبدو لي :

(١) ناحية المنهج العام .

(٢) ناحية التفاصيل .

(١) أما من ناحية المنهج العام فإن تأثره
بكتاب النحاس يبدو في التعليقات النحوية التي
يعتمد عليها منهج النحاس اعتمادا كبيرا . وهذه
الناحية ذات تأثير في كتاب « علم الاهتداء » .

ومن أمثلة ذلك قول « ابن الامام » في
الحديث عن انوقف الحسن في سورة الفاتحة :
(أما الحسن فهو الذي يحسن انوقف عليه لأنه
كلام مفيد حسن ، والأحسن الابتداء بما بعده
لتعلقه به لفظا ومعنى ، كقوله عز وجل : « الحمد
لله » ، فهذا كلام حسن مفيد ، وقوله بعد ذلك :

(١.٤) ترجمته في طبقات القراء ٢/٢٤٥ .

(١.٥) طبقات القراء ٢/٢٤٥ .

(١.٦) علم الاهتداء ، (مخطوط) .

« رب العالمين » غير مستغن عن الأول ، إلا أن
الحسن إذا كان رأس آية يجوز : رب العالمين ،
فإنهم أجازوا الابتداء بما بعده ، وأن يُعَنَّق بما
قبله في اللفظ والمعنى ، لحديث أم سلمة (١٠٧) ، ثم
يقول : « الرحمن الرحيم » ، ثم يتوقف ، ثم
يتول « مالك يوم الدين » .

وهذا المنهج بسطه النحاس في أول كتابه في
الحديث عن الوقف والابتداء في سورة الفاتحة ،
مستشهدا بحديث أم سلمة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم ، عنه (١٠٨) . بعد الحديث بسط
تفسيرا له . ثم نكَّم عن « الأئمة » في « سورة
الفاتحة » ، فقال : (والقطع على : « بسم الله »
جائز إلا أن الائتناف بما بعده لا ينبغي لأنه نعت ،
وكذا على « الرحمن » ، والتمام . « بسم الله
الرحمن الرحيم » ، ولا تقف على « الحمد »
لأنه مبتدأ لم يأت خبره . والوقف على « الله »
جائز إلا أنه لا ينبغي أن يفعل ذلك ، لأن قوله :
« رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين »
نعت ، وهذا التمام) .

أما الحديث الذي استشهد به « ابن الامام »
على القطع عند رؤوس الآيات ، فهو الغرض الذي
أورد النحاس الحديث من أجله .

(٢) أما من ناحية التفاصيل فإن « ابن
الامام » أخذ من كتاب النحاس تفاصيل كثيرة
لكنه لم يشر إليها . ومن الأمثلة عليه قول « ابن
الامام » : (ومن الاختلاف في الوقف لاختلاف
المعنى ، قوله عز وجل : « وما يعلم تأويله إلا
الله » . هو وقف تام على أن ما بعده مبتدأ وخبر ،
والى هذا انوقف ذهب : « نافع ، والكسائي
والفراء والاختفش وابن كيسان وأبو حاتم ويعقوب
وأبو اسحاق وانطيري . والى معناه ذهب مالك

(١٠٧ - ١٠٨) روى هذا الحديث ، النحاس : (القطع

والائتناف ، لوحة : ه : ب ، فقال : حدثني محمد بن

أبوب بن حبيب قال حدثنا زكريا بن يحيى قال حدثنا

اسحاق بن ابراهيم الحنظلي قال : أخبرني يحيى بن

سميد الاموي عن ابن جريج عن ابن مليكة عن أم سلمة

قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقطع

قراءته :

« بسم الله الرحمن الرحيم » / قطع / « الحمد لله

رب العالمين » / قطع / ... الخ .

ثم قال بعده : « ومعنى هذا الوقوف على رؤوس

الآيات ، وأكثر أواخر الآي في القرآن ، تام ، أو

كاف ، وأكثر ذلك في السور القصصار الآي ، نحو

الواقعة والشعراء ، وما أشبههما » .

وهذا النص مختصر من نص طويل للنحاس،
أوردناه في الحديث عن أثر «القطع» في تفسير
أبي المظفر السمعاني . ومراجعته تنفي عن
إيراده .

(١٠٩) علم الاهتداء في الوقف والابتداء (مخطوط) .

ابن أنس . ومعنى « يقولون آمنا به » : يُسَلِّمُونَ
وَيُصَدِّقُونَ ، في قول ابن عباس وعائشة وابن
مسعود رضی الله عنهم . وقال عروة بن الزبير :
« الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله » ولكن
يقولون : آمنا به كل من عند ربنا » . وعلى هذا
أكثر المفسرين (١٠٩) .

المراجع المساعدة

- إرباب القرآن ، لابي جعفر النحاس (ت ٢٢٨هـ) ،
مخطوط مكتبة طابع باسطنبول ، رقم ٨٨ .
- انباه الرواة على انباه النحاة ، للتفطي (ت ٦٤٦هـ) ،
تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ، ط : دار الكتب
١٩٥٠ - ١٩٥٥ م .
- الانساب ، لابي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني
(ت ٥٦٢هـ) ، نشر المشرق « مرجليوث » ، ط :
لندن ١٩١٢ م .
- ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، لابي
يكر : محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق
الدكتور محيي الدين رمضان . ط : دمشق
١٣٦١هـ/١٩٧١ م .
- الايضاح في القراءات ، للاندرابي (ت حوالي ٥٠٠هـ) ،
مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٩ قراءات .
- بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي
(ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ،
القاهرة ١٩٦٤ م .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٢هـ) ،
القاهرة ١٩٣١ م .
- تذكرة الحفاظ للذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، ط : حيدرآباد
الدين بالهند ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .
- ترتيب المدارك ، للقاضي مياض (ت ٥٤٤هـ) ، ط :
بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨ م .
- تفسير ابي المظفر السمعاني ، مخطوط دار الكتب رقم
١٣٦ تفسير .
- طبقات المفسرين ، للداودي (ت ٩٤٥هـ) ، تحقيق :
علي محمد عمر ، ط : القاهرة ١٩٧٢ م .
- طبقات القراء (هـ غاية النهاية في طبقات القراء) ،
للإمام : ابن الجزري (ت ٨٢٣هـ) ، تحقيق المشرق :
برجستر اسر ، ط : القاهرة ١٣٥١هـ .
- علم الاهتداء في الوقف والابتداء ، لابن الامام
(ت ٧٤٥هـ) ، مخطوط الخزانة الملكية بالمغرب (رقم
١٥٥) .
- الفهرست ، لابن التميمي .
- القطع والائتناف ، لابي جعفر النحاس (ت ٢٢٨هـ) ،
مخطوط مصور بدار الكتب (رقم ١٩٦٧٠ ب) .
- معجم الادباء ، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والامصار ، للإمام
الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق
١٩٦٧ - ١٩٦٩ م .
- المكتفى في الوقف والابتداء ، لابي عمرو الداني
(ت ٤٤٤هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات ،
رقم ٩١ قراءات) .
- الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم ، للإمام : مكي بن
أبي طالب (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق : الاساذ الدكتور
حسين نصار (رسالة منشورة في مجلة كلية الشريعة
المنافاة ببغداد ، العدد الثالث سنة ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م .